Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 15-16:4-1 (1980-81

المناهج الاسلاميـــــة

كيف كانت فى صدر الاسلام ، انحرافاتها

فى عصو ر الظلام ، و سائل تصحيحها

دكتو ر احمـــــد شلبى

استاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامـى والحضارة الاسلامية ومقارنة الاديان

كلية دارالعلوم ، جامعة القاهـرة

تكرم علينا سماحة الاستاذ الدكتو ر احمد شلبى بمقاله الذى القاه فى مؤتمر المناهج الاسلامية الـذى عقدته الحكومة الباكستانية بمناسبة استقبال القرن الخامس عشر الهجرى باسلام آباد ونحن اذ ننشره نشكر الاستاذ الدكتو ر احمد شلبى كما نشكر مسئولى المو تمر.

ايها الاساتذه الاجلاء

هيّأ الله بكم الخير وجعلكم مصابيـح هدى ووفقـكم الله لخـدمة دينـه والسلوك بالمسلمين الى الصراط المستقيم.

ان مؤتمرا يعقَد للنظر فى المناهج الاسلامية لمؤتمر يرجى أن تحفه ملائكة الله ، وأن يشمله الله المعلم الأعظم بالهداية والتوفيق ، لأنـه مؤتمـر من أهـم المؤتمرات الاسلامية ، ولاشك أننا جميعا نطمع أن نصل فيه الى قرارات علمية محدودة ، وأن نتابع هذه القرارات وهى تسلك طريقها الى معاهد العلم با لعالم

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

الاسلامى ، ثم وهى يتربى عليها الجيل الجديد الذى نطمع أن نذلل له الطريق ليسير فى خدمة الاسلام بوسائل أمثل وأسرع وأنجح.

اننا فى عصر يؤكد ان حضارة الشرق وحضارة الغرب عجزتا عن خلق الهدوء النفسى والأمن وعجزتا عن خلق الاستقرار فى الاسرة والقضاء على انحرافها الذى يزيد انتشارا من يوم الى يوم ، وعجزتا عن القضاء على القلق الذى يدفع الوساوس والحقد والدماء ، ومن أجل هذا ينبغى ان نعود الى الاسلام ونتخذ منه اساسا لانطلاقنا ، وقاعدة لتطورنا ، وسيمدنا الاسلام بالعناصر المهمة فى جميع المجالات التى تكفل حسن علاقة الانسان بربه ، وحسن علاقة الانسان بالانسان فى المجتمع.

وللوصول الى هذا الهدف ينبغى ان نسأل التساؤلات التالية التى تشغل اذهان المفكرين والباحثين المسلمين :

- هل المواد التى تدرس حالبا بالمعاهد والكليات الاسلامية تربّى فى الدارس روح الاسلام ؟
- لماذا لا يستطيع المتخرج فى الجامعات الاسلامية ان يقدم الاسلام لغير المسلمين ويدفعهم الى حبه والاقبال عليه ؟
- لماذا كثر بين المسلمين التراخى فى التمسك بالقيم الاسلامية وشاعت الرشوة والاهمال وعدم التعاون وغيرها من الصفات التى تتناقض مع الاسلام ؟
- لماذا يرى بعض الشبان أنهم وحدهم المسلمون وأن من سواهم من المسلمين ليسوا فى الحق مسلمين ؟

- لماذا يصل الأمر الى ان يقتل بعض المسلمين بعضا باسم الدين؟
- لماذا كثرت الفرق الاسلامية وأصبحت مركز صراع وسبب خلافات واسعة ؟
- وهل من الاسلام فى شىء أن يتصل قاضى القضاة الشافعى بالتتار عندما حاصر هؤلاء مدينة الرى ، ويتفق معهم ان يفتح لهم أبواب المدينة لينتقموا من غير الشوافع بها ؟
- وهل من الاسلام فى شىء أن تدمر قرى بأكملها كما يقول ياقوت الحموى بسبب الصراع بين اتباع المذاهب الاربعة ؟

هذه الاسئلة ومثيلتها الكثيرة استوقفتنى فترات طويلة ودفعتنى للبحث والدراسة وانتهت بى الى نتيجة يمكن أن تكون موضع اتفاق وهى أن الانحراف فى المناهج الاسلامية هو الذى سبب هذه الكوارث ، وسبب بطء انتشار الاسلام وأضعف جانب المسلمين فى مواجهة اعدائهم اذ انشغلوا بالصراع الداخلى بين بعضهم والبعض الآخر وشغلتهم الفروع عن الاصول ، ولهذا رحت بصبر أتساءل :

كيف كان الاسلام يعلّم فى صدر الاسلام ؟

كيف علّمه رسول الله صلوات الله عليه ؟

وكيف علمه مبعوثوه الى الامكنة المختلفة ؟

كيف علمه مصعب بن عمر فى يثرب ؟

وعلى بن ابى طالب فى اليمن ؟

ومعاذ بن جبل فى مكة عندما تركه الرسول بها عقب فتحها وعودة الرسول الى المدينة وأبوعبيدة بن الجراح فى نجران ؟ . . . . . وغير هوءلاء

وكيف قدم علماء المسلمين الاسلام للأمم المفتوحة فى عصر عمر بن

عبد العزيز الذى يسمى عصر اسلام الشعوب المفتوحة ؟

وهكذا رحت أدرس تاريخ المناهج الاسلامية بكل الجهد وكل الصبر ، وقد تبين لى بعد دراسة طويلة للمصادر التارخية أن المناهج الاسلامية الاولى التى حققت أعظم نجاح ، حدثت فيها احداث خطيرة تسببت فيما نعانيه الآن من اضطراب وخلل وقصور ، وقد جاء هذا الاضطراب من ثلاث نوافذ :

النافذة الاولـــى :

اختفت من المناهج وبالتالى من المعاهد الاسلامية أنفع العلوم الاسلامية وأعظمها وأجلها قدرا ، تلك التى كانت تحمل الاسلام الى الناس وتجذبهم اليه وتجمع المسلمين حول فكر واحد ، ومن أهم هذه العلوم مقارنة الاديان والحضارة الاسلامية وقد عنى القرآن الكريم والاحاديث الشريفة بهذين العلمين ، وكانا من أهم العلوم التى أبرزت خصائص الاسلام ، كما ابرزت المآثر التى قدمها الاسلام للجنس البشرى ، وعندما نقول عنى القرآن الكريم والاحاديث الشريفة بموضوعات مقارنة الاديان والحضارة الاسلامية فان هذا يعنى ضرورة وضعهما فى قمة المناهج ، اذ أن العلوم الاسلامية انبثقت من الكتاب والسنة كما يقول ابن خلدون وسواهمن المفكرين.

النافذة الثـــانيـــة :

انحرفت عن الطريق الصواب علوم اسلامية اخرى فالمذاهب الفقهية التى تعد نعمة من نعم الاسلام أصبحت نقمة وسببا فى الاختلافات والأزمات ، كما كثرت الفروض فى الفقه ، بل وجدت فى بعض كتب الفقه الحيل لأخذ الربا ، والحيل للتخلص من دفع الزكاة وهكذا ، وفى الحديث الشريف تقول أعداء الاسلام على الرسول صلوات الله عليه ونسبوا اليه ما لا يجوز أن ينسب اليه ،

واندس بعض ذلک فی کتب الحدیث،وفی التاریخ الاسلامی کثرانحراف الاحداث وصور التاریخ علی انه معارک ودماء فقط دون الاهتمام بتدوین الجانب الحضاری فیه ، وفی اللغة العربیة انتقل التعلیم من اللغة الی القواعد ، ثم من القواعد الی شواذها مما أضعف التعر ف علی اللغة العربیة واجادتها.

النافذة الثـــالثـــــــة :

برزت علوم ادعت أنها اسلامیة ، وهی فی الحق لیست کذلک مثل علم الکلام الذی یقول مؤلفوه ان موضوعه ذات الله. وهذا منکر یرده قوله علیه السلام „تفکروا فی آلاء الله ، ولا تفکروا فی ذاته فتهلکوا „ ومثل المنطـق الحافـل بالغموض والجفاف وقد کنـا نحفظـه دون فهم لنؤدی فیـه الامتحـان ، ومثـل الفلسفة التی ـ کما نقول ادق المصادر ـ انها لا تبدأبمسلمات مهما کان مصدرها ، ولا تجعل الایمان سندا (انظر دائرة المعارف الاسلامیة : مآدة فلسفة)

وقد تلقت هذه الفلسفة عناصر کثیرة من الفلسفة الیونانیة ، ومن أجل هذا هاجم الامام الغزالی الفلسفة فی کتابه „تهافت الفلاسفة „ ولهذا کله لا تجعل بعض الدول الاسلامیة الفلسفة فی مناهجها ، ومن أجل انحراف الفلسفة اتجه العلماء المسلمون الی محاولة بعث روح اسلامیة بها وأسموهـا „ فلسفة اسلامیة „.

والعلاج الحقیقی أن نعود للمنهج الاسلامی الصحیح ، فنُحیی العلـوم المفیدة التی اندثرت ، ونصحح مسار العلوم التی انحرفت ، ونحذف العلوم الدخیلة ولا نبقی منها الاما ثبت نفعه وضرورته.

ذلک مجمل الحدیث عن المناهج الاسلامیة فی رحلتها الطویلة وهو یبرز ما عانته من أثقال ، وما تعرضت له من مکائد ، وفیما یلی بعض التفصیل لما سبق من اجمال :

مقارنـــة الاديـــان

ان آيات قرآنية كثيرة ، ومواقف متعددة للرسول ترينا أهمية هذا العلم الذى يشمل الحديث فيه عدة قضايا مهمة مثل قضية الالوهية ، وقضية النبوة ، وقضية الكتاب المقدس ، وقضية البعث والنشور ، وقضية الحساب ، وغيرها ، ونبدأ بأن نذكر ان آيات القرآن الكريم قد رسمت الاهتمام بهذا العلم ، قال تعالى :

- وجاءدلهم بالتى هى احسن (سورة النحل الآية ١٢٥)

- ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن (سورة العنكبوت الآية ٤٦)

ومن الواضح ان مجادلة غير المسلمين بالحسنى هى علم مقارنة الاديان ، ولم يكتف القرآن الكريم بالحث على المجادلة بالحسنى ، بل اورد بعض الآيات التى تحمل اتجاه المقارنة كقوله تعالى :

أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ (سورة النحل الآية ٦٧)

فهذه الآية تجرى مقارنة بين الخالق الاعظم وبين الالهة التى لا تستطيع أن تخلق شيئا ومثل قوله تعالى :

- لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (سورة الانبياء الآية ٢٢)

فهذه الآية تقارن بين الوحدانية وبين التعدد ، وتوضح ان التعدد يقود الى الفساد والدمار ، وقد تحدث القرآن الكريم عن جميع الاديان سماوية كانت أم وضعية ؛ تحدث عن اليهود واليهودية ، وتحدث عن المسيح والمسيحية ، وتحدث عن عبدة الاصنام والطاغوت والملائكة والشياطين وسماها القرآن الكريم أديانا مع بطلانها ، قال تعالى : لكم دينكم ولى دين » (سورة الكافرون الآية الاخيرة).

فاذا ذهبنا الى سيرة الرسول وجدنا ان مقارنة الاديان كان فى قمة العلوم التى كان الرسول يقدم بها الاسلام لغير المسلمين و يثبته لدى المسلمين ، وخلال المناقشات التى أجراها الرسول وايدته الآيات الكريمة دخل كثيرون من عبدة الاصنام ومن اليهود ونصارى نجران دين الاسلام، وفيما يلي نماذج قصيرة لهذه المجادلات ولدينا منها الكثير :

كان الرسول والمسلمون يكثرون السخرية من عبادة الأصنام وكان القرآن الكريم يؤيدهم ويمدهم بأسمى المعانى فى ذلك ، ومن ذلك قوله تعالى : أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ، ألكم الذكر وله الانثى ، تلك اذا قسمة ضيزى. ان هى الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان (سورة النجم الآيات ١٩ ـ ٢٤) وقوله : «أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون » (سورة الصافات ٩٥ ـ ٩٦)

وكانت أصنام العرب وأوثانهم كثيرة متعددة ، ومن أجل هذا كانت دهشة العرب عميقة عندما قال محمد ﷺ بالوحدانية وأن لا اله الا الله ، ويروى القرآن الكريم تعجبهم بقوله : «أجعل الالهة الها واحدا ان هذا الشىء عجاب » (سورة ص الآية الخامسة) ولقد أجابهم الله بقوله :.«الله لا اله الا هو الحى القيوم » (سورة البقرة الآية ٢٥٥) وقوله : «ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو ، كل شىء هالك الا وجهه » (سورة القصص ٨٨) وقوله : «ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » (سورة المؤمنون ٩١) ويقول المفسرون (تفسير البيضاوى والنسفى) عن هذه الآية : انها جواب المحاجة والمجادلة ، وهى تبين ان التعدد لو حدث لحدث التحارب والتغالب ، كما هو حال ملوك الدنيا ، وعن طريق المجادلة وشرح الآيات دخل الكثيرون فى الاسلام.

وهناك محاورات ومناقشات كثيرة جرت بين الرسول صلوات الله عليه وبين اليهود تارة وبين المسيحيين تارة أخرى ، وبينه وبين عبدة الاصنام أحيانا ، وكانت هذه المحاورات ذات فائدة كبرى فى نشر الاسلام بين الكثيرين من هوءلاء، وقد اشار القرآن الكريم لبعض هذه المجادلات ومن ذلك قوله تعالى :

- انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (الانبياء ٩٨)

- أ أنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لى أن اقول ما ليس لى بحق . . . . .(المائدة ١١٦)

- وأوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، قل لا أشهد قل انما هو اله واحد وأنا برئ مما تشركون (الانعام ١٩)

وهناك حديث طويل أورده البخارى (ج ٥ص ٦٩) ويروى مجادلة ومناقشة بين الرسول وبين عبدالله بن سلام انتهت باسلام عبدالله.

وروت كتب تاريخية دخول الكثيرين من هؤلاء دين الاسلام.

ومن أجل اهمية علم مقارنة الاديان اهتم به المسلمون الاوائل اهتماما كبيرا ، وعقدوا له حلقات مجادلة ، وحلقات عرض ، وحققوا فيها نصرا مؤزرا ، وكتب فيه المسلمون فى وقت مبكر ، أى عندما كتبوا العلوم الاسلامية المختلفة ، ومن أشهر الكتاب المسلمين فى علم مقارنة الاديان النوبختى (ت ٢٠٢ هـ) الذى كتب كتابه ـ الاراء والديانات ، والمسعودى (ت ٣٤٦ هـ) وقد كتب كتابين عن الديانات ، والمسبحى (ت ٤٢٠) وكتب كتابه (درک البغية فى وصف الاديان والعبادات) وهو كتاب مطول يقع فى حوالى ٣٠٠٠ ورقة وكثر بعد ذلک التأليف فى

هذه المادة ومن ابرز الكتب التى كتبت عن الملل والنحل واتخذت هذه التسمية عنوانا لها كتاب (الملل والنحل) لابى منصور البغدادى (ت ٤٢٩ هـ) وكتاب (الفصل فى الملل والا هواء والنحل) لا بن حزم الاندلسى (ت ٤٥٦) وكتاب (الملل والنحل) للشهرستانى (ت ٥٤٨) وغيرها من الكتب. ولم يكن هذا العلم موجودا قبل الاسلام وانما ابتكره المسلمون ، ويذكر آدم متز (الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٣٦٦) ذلك بقوله : ان تسامح المسلمين مع اليهود والنصارى ، ذلك التسامح الذى لم يسمع بمثله فى العصور الوسطى كان سببا فى ظهور علم مقارنة الاديان ولم يكن هذا العلم وسيلة لدى المسلمين للحط من الاديان الاخرى وانما كان دراسة وصفية علمية لا تعصب فيها تؤدى الى نتائجها الطبيعية.

وقد اختفى هذا العلم من المناهج الاسلامية وانتقل زمامه الى الغرب واصبح يدرس باشراف جماعة لا يعترفون برسالة محمد ومن هنا فكثيرا ما تغيب الحيدة فى الدراسة.

الحضـــارة الاسلاميـــة

الحضارة الاسلامية من اسمى العلوم الاسلامية واكثرها فائدة لانها تبرز ما قدمه الاسلام للجنس البشرى من مآثر وهى منحة الاسلام لهداية البشرية والحضارة الاسلامية قسمين :

حضارة الخلق :

وهى الحضارة الاسلامية الاصلية التى جاء بها الاسلام ولم تكن معروفة قبل الاسلام كالنهج الاسلامى فى السياسة وفى الاقتصاد وفى التربية والحياة

الاجتماعية والسلم والحرب وغيرها.

حضارة البعث أو الحضارة التجريبية :

وهى الحضارة التى كانت موجودة قبل الاسلام ثم ذبلت واختفت ثم احياها المسلمون وطوروها وابتكروا فى مجالاتها وهى الحضارة المرتبطة بالعلوم التجريبية كالطب والرياضة والفلك والزراعة والموسيقى وغيرها.

وعندما نتتبع القرآن الكريم والمعلمين الاول فى الاسلام نجد كثيرا من الاهتمام يوجه للحضارة الاسلامية وطبيعى ان الرسول كان المعلم الاول واحاديثه الشريفة ومواقفه المتعددة تعتبر خير دليل على اهتمامه بموضوعات الحضارة ففى المجال السياسى يتجه الرسول بدقة الى تنفيذ قوله تعالى :

- وشاورهم فى الامر (آل عمرن ١٥٩)
- وأمرهم شورى بينهم (سورة الشورى ٣٨)

فيستشير فى غزوة بدر وينزل على راى الحباب بن المنذر عندما ايده الاغلبية فى اختيار مكان الموقعة ، وفى غزوة الاحزاب ينزل على رأى سعد بن معاذ وأهل المدينة ، ويرجع عن رأيه هو فى المصالحة مع المهاجمين من أهل الطائف ، وتدلنا الروايات التاريخية على انه كان يكثر من استشارته لاصحابه ، حتى قال ابوهريرة : ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان ابوبكر وعمر فى مقدمة الصحابة الذين كان يعتمد عليهم ، وقد روى انه قال : «وايم الله لو انكما تتفقان على أمر ما خالفتكما فيه » ومن أجل هذا اتخذ الخلفاء الراشدون مجالس للشورى بعد الرسول ، وساروا على نهجه بكل دقة وعناية.

وفى المجال الاقتصادى تنطلق آيات كثيرة جدا لتلزم الغنى أن يعطى الفقير حقه مما يملك ، وقبل الاسلام كان الفقير هو الذى يعمل للغنى أو يقدم له كسبه ، ومع آيات الذكر الحكيم يقف المعلم الاول موقفا رائعا حين يقول :

- ما آمن بى رجل بات شيعان وجارة جائع وهو يعلم.
- أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برأت منهم ذمة الله.
- من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد لـــه.

واذا جئنا الى مجال التعليم ظهر امامنا ان الاسلام فتح باب العلم للجميع بعد ان كان العلم خاصا بالكهنة ، قال تعالى : „فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم „ (سورة التوبة الآية ١٢٣) وفى مجال السلم والحرب كانت القوة هى المسيطرة على الناس وكان القوى يأكل الضعيف حتى جاء الاسلام فجعل السلم اساس الحياة ، وجعل الحرب للدفاع ورد العدوان ، وألزم فى حالة الحرب الا يقتل طفل أو شيخ أو امرأة ، ولا يهدم منزل ، ولا يحرق زرع ، ولا يؤذى حيوان ، وكانت تلك مآثر لم تعرفها البشرية من قبل ، بل لا يزال الكثيرون من الناس يجهلونها وبخاصة من غير المسلميـن ، والايـات والاحاديث فى ذلك أشهر من أن تورد هنا.

وكان للحضارة الاسلامية دور كبير فى تحرير الرقيق وتكريم المرأة وغير ذلكَ من موضوعات كثيرة ومن الواضح ان مبعوثى الرسول الى البلدان المختلفة اتبعوا نهجه فى عرض قضايا مقارنة الاديان والحضارة الاسلامية بالاضافة الى تعليم الصلاة وغيرها من التشريعات التى كانت قد نزلت ، فيروى أن الرسول عندما ارسل مصعب بن عمير الى يثرب قال له : اقرئهم القرآن وعلمهم الاسلام وأمهم

فى الصلاة ، وعندما بعث معاذ الى اليمن أوصاه بقوله علمهم مكان الاسلام بين الاديان ، ويسر ولا تعسر (ابن هشام ج ١ ص ٢٦٨ وانظر كذلك الصحيحين)

بيت الحكمة ودوره فى الحضارة :

ويعتبر من معالم الحضارة الاسلامية انشاء بيت الحكمة ببغداد فى عهد هارون الرشيد ، ويعد هذا المعهد أهم مجمع علمى شيد فى القرن الهجرى الثانى ، وفى بيت الحكمة ترجمت أمهات الكتب من اللغات المختلفة ومن موضوعات متباينة الى اللغة العربية ، وجلس العلماء أمام هذه الكتب جلسات فكرية رائعة ، ذات مراحل متعددة ، ففى المرحلة الاولى أكملوا ما كان بها من نقص ، وفى المرحلة الثانية شرحوها ثم علقوا عليها ، وفى المرحلة الثالثة تدارسوها وقدموا افكارها للطلاب ، ثم وصلوا بعد ذلك الى قمة المراحل عندما ألفوا وابتكروا فى هذه الموضوعات فوضعوا فى الطب والرياضة والموسيقى والزراعة والبيطرة والادوية وغيرها مؤلفات قيمة كانت عماد الفكر فى تلك العصور ، وهى التى نقلت الى اروبا فوضعت اساس عصر النهضة ، وهكذا ازدهر فى بيت الحكمة ما اسميناه من قبل (حضارة البعث).

علوم أخرى مع مقارنة الاديان والحضارة الاسلامية :

استكمالا لمنهج الدراسات الاسلامية نقرر انه كانت هناك علوم أخرى مهمة بجانب مقارنة الاديان والحضارة الاسلامية ، وسنذكرها دون حاجة الى ان نطيل الوقوف معها لانها معروفة مشهورة ، وذلك كالفقة الاسلامى الذى يشرح التشريعات الاسلامية فى شئون العبادات والمعاملات ليستطيع المسلم ان يعبد الله كما يريد الله ، وليتعامل مع البشر معاملة تتفق مع التشريع الاسلامى ، وكتفسير القرآن الكريم الذى كان يقصد به ايضاح ما قد يغمض على الانسان من كلمات

الكتاب الحكيم أو عباراته ، وكدراسة أحاديث الرسول للانتفاع بما بها من فكر وخلق ، وكعلوم اللغة التى تساعد على فهم كتاب الله وسنة رسوله ، والتى كتب بها الفكر الاسلامى.

ولكن ينبغى ان يتضح أن تعليم هذه إلدراسات كان يتم بروح اليسر ، وكان فيه كثيرا من القصد والاعتدال ، فقد علم الرسول الصلاة للمسلمين تعليما واقعيا فى فترة وجيزة ، اذ توضأ أمامهم وصلى ثم قال: صلوا كما رأيتمونى أصلى. وفى الحج قادهم الرسول لاداء الشعائر وقال لهم خذوا عنى مناسككم وفى تفسير القرآن كانت تغمض كلمة أو آية على بعض الناس فيسأل الرسول عن معناها فيجيبه عن ذلك ، وقد روى ان الرسول سئل عن معنى كلمة «ضيزى » فى قوله تعالى ، قسمة ضيزى » فقال «جائرة » ولما نزلت الآية الكريمة وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر » (سورة البقرة ١٨٧) سأل على بن حاتم رسول الله عن الخيطين فقال الرسول : هو الشعاع الاول من النهار الذى يطارد سواد الليل.

ومن تتبع تاريخ المناهج فى صدر الاسلام يتضح لنا ان الرسول كان لا يحب ان يسأل عن أشياء لا تدعو الحاجة اليها ، وكان ذلك اتباعا لقوله تعالى : «يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم » (سورة المائدة الآية ١٠١) وقد شاع عند المسلمين الاول هذا الخلق ، اى الا يسآل الرسول عن تفسير آية او ايضاح حكم لم تدع الضرورة له ، وقد روى عن ابن عباس أنه قال : ما رأيت قوما قط كانوا خيرا من أصحاب الرسول ﷺ : ما كانوا يسألونه الا عند الحاجة ، وكان عمر بن الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن.

وينبغى ان نوضح ان التعليم عن طريق التجربة هو الذى لا يزال متبعا فى الحياة الواقعية حتى اليوم ، فالصبى يتعلم الصلاة والصوم من ذويه وهو حدث ،

ويعيش على ذلك حياته حتى لو اتجهت ثقافته الى الدراسات الدينية دون أن يجد التفاصيل والفروض التى يدرسها ما يستدعى اجراء اى تعديل ذى بال فيما تلقاه من ذوية فى مطلع العمر.

وقد صام الآباء والاجداد وصلوا ، وأدوا فريضة الحج ولا يزالون يفعلون وهم يتبعون التجربة العلمية التى سنّ الرسول صلوات الله عليه سنتها ، دون حاجة الى التفاصيل والفروض التى ادخلتها عصور الظلام.

تلك صورة سريعة للمناهج الاسلامية فى العصور الاسلامية الاولى ، وقد اثمرت هذه المناهج آنذاك واينعت ، وحملت الفكر الاسلامى عبر الآفاق الى ملايين الناس ، وقدمت الهداية الى جموع غفيرة من جموع المجتمع البشرى وجمعت المسلمين حول مركز واحد لا فِرَق فيه ولا مذاهب غموض فيه ولا فروض، وسنـــرى فيما يلى كيف امتدت يد الظلام الى المناهج فحولتها من حال الى حال.

عصـــــور الظـــــلام

وماذا فعلت بالمناهج الاسلامية

اتجهت عصور الظلام لمحاربة الفكر الاسلامى ، واستطاعت ان تحقق اقصى درجات النجاج ، فظهرت فى المناهج الانحرافاتُ التى اشرنا اليها آنفا وهي :

١ ـ اختفت من المناهج اهم العلوم الاسلامية كمقـارنة الاديـان والحضـارة الاسلامية ، فخسرت المناهج الاسلامية انفعَ العلوم للاسلام ، وكان اختفاء هذين العلمين احيانا بسبب نفوذ غير المسلمين فى القصور ، وأحيانا بسبب حرص بعض

الملوك على الحكم المطلق الذى لا يتيح للشورى طريقا وحرص الاغنياء وأصحاب النفوذ على المال وهكذا. أصبح الطالب المسلم فى كليات العلوم السياسية يدرس كل النظريات السياسية العالمية فى بما ذلك النظريات التى ثبت فشلها كالنازية والفاشية ، ولكنه يدرس النهج السياسى فى الاسلام ، والطالب فى كليات التجارة والاقتصاد يدرس كل النظريات الاقتصادية حتى الشيوعية فى اخطر مظاهرها ولكنه لا يدرس النهج الاسلامى فى الاقتصاد وقل مثل ذلك فيما يتعلق بكليات التربية وبالكليات العسكرية وكليات الخدمة الاجتماعية ، ثم ان طلبة كليات الطب والصيدلة لا يعرفون شيئا عن الرازى وابن زهر وطلبة كليات العلوم لا يعرفون شيئا عن جابر بن حيان وابن سينا وابن الهيثم والذين يدرسون الجغرافية لا يعرفون شيئا عن الاصطخرى والبيرونى والادريسى . . . . وهكذا مما يدعوا للخجل ويلزم بسرعة العلاج.

٢ ـ انحرفت علوم اسلامية أخرى كالفقه الذى اصبح مذهبا والذى اتجه اهتمامه للفروض التى لا تحدث ابدا كأن يستاك انسان بيد غيره ، أو يندر أن تحدث كالصور التى تذكر عند الطلاق أو الجبيرة او الاستحاضة ، والمحاولات التى ادخلت على الفقه للحيل بعدم دفع الزكاة أو للحصول على الربا ، وكالتفسير الذى ازدحم بالاسرائيليات.

٣ ـ ظهرت علوم مدعية انها اسلامية وهى قليلة الصلة بالاسلام وأحيانا لا صلة لها بالاسلام ، وذلك كالمنطق الذى لم يعرفه صدر الاسلام والذى ظهر فى العالم الاسلامى لاول مرة فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، وكالفلسفة التى يقول عنها الدكتور بيصار شيخ الازهر الحالى : إن الفلسفات فكر دخيل كثيرا ما تنافرت مع الاسلام وان جمهور المسلمين فى العصور الاولى ينظرون لها نظرة شك وريبة وينبغى ان نتجه للقرآن والحديث لا للمذاهب الفلسفية التى اختلط فيها الحق بالباطل وتشابهت فيها معالم الطريق (مقال بصحيفة الاهرام فى ٢٦ / ١ / ١٩٧٩.

مناهج عصور الظـــــلام تنحـدر للعصـر الحاضـــــر

انحدرت مناهج عصور الظلام للعصر الحاضر ، فالعلوم التى اختفت لا تزال مختفية ، والعلوم المنحرفة لا تزال منحرفة ، والعلوم الغير الاسلامية لا تزال تدرس فى المعاهد الاسلامية.

اصـلاح المناهج الاسلاميـــة

ايها العلماء الاجلاء :

نناديكم باسم الاسلام أن تتعاونوا لاصلاح مناهج التعليـم الاسلامـى ، واصلاحُ هذه المناهج يستلزم النقاط التالية :

١ ـ احياء علم مقارنة الاديان وعلم الحضارة الاسـلامية ولحسـن الحظ قد ظهرت مؤلفات كثيرة عن هذين العلميـن لقيـت اقبـالا رائعـا لدى الجماهير وخدمت الفكر الاسلامى أجـل الخدمـات ، ولكاتـب هذه السطور مؤلفات فى هذين المجالين.

٢ ـ الاهتمام بدراسة الفقه الاسلامى اكثر من الاهتمام بالفقه المذهبى مع تنقية الفقه من الحيل الفروض والتفاصيل غير اللازمة ، وقد كتب كثير من العلماء الاجلاء فقه السيرة وفقه السنة على هذا النمط.

٣ ـ تنقية تفسير القرآن الكريم من الاسرائيليات وكتابته باسلوب العصر ، وقد أصدر مجمع البحوث الاسلامية "التفسيـر الوسـيط " الـذى يوفـى بالفروض.

٤ ـ الاهتمام بالتاريخ الاسلامى بتنقيته من شطحات المستشرقين ، وبجعله شاملا للعالم الاسلامى كله وممتدا حتـى العهد الحاضـر ، وبابـراز الجانب الحضارى فيه . . . . . ويشرفنى ان اذكر اننى كتبت موسوعة التاريخ الاسلامى فى عشـرة أجـزاء (٥٠٠٠ صفحة) حاولـت فيها

تحقيق هذه الاهداف ، كما التزمت بروح الاسلام فى عرض الاحداث.

٥ ـ الاهتمام باللغة العربية اهتماماكبيرا والاكتفاء فى قواعد اللغة بما يحمى اللسان من فاحش اللحن ، ومن جهل العوام كما يقول الجاحظ وابن حزم.

٦ ـ العلوم الدخيلة لا نُبقى منها الا ماتثبت ضرورته والحاجة اليه.

٧ ـ الاهتمام بمعاهد الدعوة التى غابت عن المحافل الفكرية عدة قرون لتخرج دعاة يأخذون نهج الدعاة الاول ، وقد بدأت معاهد الدعوة تظهر فى اقطار متعددة ، ولكنها للحق لا تزال قليلة ، ولا تزال فى حاجة الى ، اصلاح مناهجها والاخذ بيدها.

ايها العلماء الاجلاء :

لقد بدأ جيلنا يسير على الطريق الامثل ، ولا يبقى الا ان يتبنى مؤتمركم اتجاها يدفع بالقيم التربية الاسلامية الى الكمال أو ما يقرب منه لنفتح للدراسات الاسلامية صفحة جديدة تشرق بالاسلام على الكون فانتم صفوة المجتمع الاسلامى من كل صوب لتتعاونوا فيما يخدم الاسلام والمسلمين ولاهد ف لكم الا اعلان كلمة الله ، ومن هنا فالله معكم و لن يَترِكم اعمالكم.

★ ★ ★ ★ ★